الموت والحياة الأبدية[1]

ما هو الموت؟

ليس هو الضـــياع، وليس وهو الفنـاء، وليس هو النهـايـة، وليس هو المجهول المخيف الذي يرتعب منه الناس، وليس هو الســيف البتار الذي يقطع صلتنا بالحياة.. إذن ما هو الموت؟

الموت هو انفصــال الروح عن الجســد، وليس شــرفًا كبيرًا للروح أن تكون مرتبطة بهذا الجسد المادي، يضغط عليها أحيانًا ومجرها معه في شهواته ونزواته!

لذلك كان انفصـــال الروح عن الجســـد، هو نوع من التحرر. تتحرر به من المادة، وتفرح به الروح الطاهرة القديسة.

والموت هو رحلـة جميلـة نحو الأبـديـة، نحو الفردوس والنعيم وشـــركـة القديســـين والملائكة، هناك في الموضـــع الذي هرب منه الحزن والكآبة والتنهد.. في عشــرة الأنبياء والرســل والشــهداء والنســاك والأبرار، وفي عشرة الملائكة الأطهار، في العالم أفضل..

ليست حياتنا الأرضية بالحياة المثالية التي يتمسك بها الحكماء! وليست هذه المادة اللاصــقة بنا بالدرجة الســامية التي نحرص عليها! وليس هذا الصـراع الدائم بين الجسـد والروح شـيئًا يهفو إليه الناس، بل سـعيد من يتخلص من مثل هذا الصراع، ويحيا في سلام داخلي..

سـيأتي الوقت الذي نسـمو فيه على المادة، أو الذي نتخلص فيه من المادة نهائيًا.

---

[1] مقال لقداسة البابا شنوده الثالث – بمجلة الكرازة – السنة الثالثة عشرة – العدد السادس عشر 11-10-1985م

يســـتطيع الأبرار بشـــيء من التدريب الروحي أن يســـموا على المادة، ويعيشـــوا روحانيين. أما التخلص من المادة، فيكون هناك في الأبدية. حيث يعتقنا الله من نير الجسد والمادة، ويكتب صك حريتنا.

وعندما نموت، نتخلص من هذا الجسد المادي..

ولكننا لا نترك هذا الجسـد تركًا كاملًا بالموت، لأن أجسـادنا سـتقوم في اليوم الأخير، وتقدم حسابًا عن أعمالها.

لقد اشترك الجسد مع الروح في أعمال وشئون هذه الحياة الدنيا، فيجب أن يقف الأثنان أمام منبر الله العادل، ويثاب الأثنان، أو يعاقب الأثنان. ومن هنا كان لا بد من قيامة الأجساد..

ولكن الأجساد سوف لا تقوم بحالتها المادية الحالية، لأن الأبدية السعيدة بعيدة عن المادة. ســـتقوم الأجســـاد، ولكن في حالة روحية وفي حالة نورانية، وفي وضع غير قابل للفساد.. أجسادًا لا تحتاج إلى نوم أو إلى راحة، وليسـت في حاجة إلى غذاء، أو دواء.. أجسـادًا روحانية. وكما قال القديس أوغســـطينوس: (نحن ســـوف لا نقوم أرواحًا، وإنما ســـنقوم بأجســـاد روحانية).

هذه الأجســـاد الروحانية ســـوف لا تكون في حاجة إلى كل ما قد ســـبقت فاقتنته في العالم من عقارات وأموال ولهو وملاذ.. ســـتترك الكل هنا.. وكما خرج الإنسان عريانًا من بطن أمه، سيترك هذا العالم عريانًا أيضًا.

لذلك فإن الحكماء لا يتعبون أنفسـهم في اقتناء أشـياء لا يخذونها معهم عند موتهم.

إن الحكماء يهتمون بأبدتيهم، ولا يضـــيعون جهدهم من أجل الحياة الحاضـــرة. إن حياتنا في الجســـد، لا يمكن أن تقاس بالأبدية التي لا نهاية لها. فحياتنا على الأرض مجرد فترة غربة عن وطننا الدائم في الســـماء. وهكذا كان القديســون ينظرون إلى أنفســهم كغرباء على الأرض. فيقول داود النبي في صـلواته: "غريب أنا على الأرض، فلا تخف عنى وصـاياك"، بل يصرخ قائلًا: "ويل لي فإن غربتي قد طالت علىَّ"..

لذلك فإنني أثناء التأمل في هذه الحياة الدنيا ومقارنتها بالحياة الأخرى، كتبت ذات مرة قصيدة بعنوان "تائه في غربة" جاء فيها".

يا صديقي لست أدرى ما أنت هنا؟ أو تدري أنت ما أنت هنا؟
أنا وجميع الناس أيضًا مثلنا
أنت مثلي تائه في غربة وسنمضي حين يأتي يومنا
نحن ضيفان نقضي فترة ثم ولي بعدها آباؤنا
عاش آباؤنا قبلًا حقبة

نعم، هذه هي الحياة، لا شيء.. سراب يشغل الإنسان عن أبديته، فينساها، ويبقى متفكرًا بهذا التراب الذي يعيش فيه..

ليتنا نفكر في أبديتنا.. نحلم بالحياة الأخرى، ونتأمل فيها.. نفكر في السماء، وفي الملائكة، وفي أرواح الذين سبقونا إلى هناك.. ليتنا نفكر في الله، وفي الحياة معه، هنا وهناك..

ما أجمل أن ننشغل بالمصير الذي لا بد سننتهي إليه، قصرت المسافة أو طالت وما أحلى أن نعد أنفسنا لهذا المصير، ولا نسمح للعالم أن يشغلنا، أو أن يعطلنا، أو أن يستحوذ على قلوبنا وأفكارنا، ناسين الأبدية، وزوال هذا العالم الحاضر.

إن الله قد وضع في قلوبنا الاشتياق إليه وإلى العالم الآخر.. وكثيرًا ما نجري في هذه الدنيا ونتعب، ونشعر أخيرًا أننا نتجول في فراغ، لا يشبع الروح، ولا يرضى الفكر.

علينا أن نفكر في الموت والحياة، وندرك أن الحياة الحقيقية هي الثبات في الله، وإن الموت هو البعد عنه. كما قال القديس أوغسطينوس: (إن موت الجسد، هو انفصال الروح عن الجسد، أما موت الروح، فهو انفصال الروح عن الله)..